الإصطلاح النبوي تأسيسا لرسالة مصاحبة

كاظم جاسم العزاوي قيس حمزة الخفاجي
كلية الآداب/ جامعة بابل
kahdimalazzawi@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 29/ 7 / 2019
تاريخ قبول النشر:27 / 8 / 2019
تاريخ النشر: 14 /12/ 2019

الخلاصة

عرّف الباحثان في بحث سابق(الرسالة المصاحبة) بما يأتي:"هي مراد المتكلم الاجتماعي غير المعلن عنه في الخطاب التعبيري(مهما اختلفت أداته التعبيرية؛ كلمة أو لونا أو إيقاعا أو إيماءة ... إلخ) الذي يكون خطابا بديلا عن الخطاب الأصل المخفي بقصدية، ولكن ذلك الخطاب التعبيري يحمل بالتأكيد في طياته إشارة مضمرة إليه، أو يشتمل على عنصرٍ ما، دالٍّ عليه بطريقة خفية"... وذكر الباحثان في بحث آخر أن "الرسالة المصاحبة من حيث مدى وضوحها، على ثلاث درجات، هي:

1- الدرجة الإدراكية. 2- الدرجة التأملية. 3- الدرجة الإخبارية.

والرسالة المصاحبة- في متن هذا البحث وهو الأحاديث النبوية الشريفة بشكل عام- إلهية المصدر.

الكلمات الدالة: رسالة، مصاحبة، درجة، خطاب، حديث، نبوي.

The Prophet's Covenant is the Foundation of an Accompanying Message

Kadhim Jasim Al-Azzawi Qays Hamzah Al-Khafaji
College of Arts / University of Babylon

Abstract

In the previous research (the accompanying letter), the two researchers defined the following: "It is the intent of the social speaker that is not declared in the expressionistic discourse (no matter how different his expressive instruments, speech, color, rhythm, gesture, etc.) , But that expressive discourse certainly carries with it a signal implied, or contains an element, a subtle way it ... "The researchers said in another research that" the accompanying letter in terms of clarity, at three degrees, are:
1-Perceptual degree. 2-the degree of reflection . 3-news degree.

And the accompanying message - in the body of this research, which is the prophetic Hadith in general - the divine source.

Keywords: Message, Companion, Degree, Speech, Hadith, Prophetic.

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

1- المحور الأول/أسئلة تعريفية

هناك أسئلة مهمة يقتضي المنهج أن نتوقف عندها، وهي:

1) ما الرسالة المصاحبة؟

عرّف الباحثان في بحث سابق(الرسالة المصاحبة) بما يأتي:"**هي مراد المتكلم الاجتماعي غير المعلن عنه في الخطاب التعبيري(مهما اختلفت أداته التعبيرية؛ كلمة أو لونا أو إيقاعا أو إيماءة ... إلخ) الذي يكون خطابا بديلا عن الخطاب الأصل المخفي بقصدية، ولكن ذلك الخطاب التعبيري يحمل بالتأكيد في طياته إشارة مضمرة إليه، أو يشتمل على عنصرٍ ما، دالٍّ عليه بطريقة خفية**"[1: مج1/23– 24].

وذكر الباحثان في بحث آخر أن "الرسالة المصاحبة من حيث مدى وضوحها، على ثلاث درجات، هي:

1– الدرجة الإدراكية: وهي الدرجة التي يمكن أن يلتقط فيها المخاطب الرسالة المصاحبة بسهولة ويُسر مستعينا بالسياق من دون إعمال فكر كبير[...].

2– الدرجة التأملية: وهي الدرجة التي يحتاج فيها المخاطب إلى التأمل وإعمال الفكر والاستعانة بالسياق بشكل أكبر مما يبذله في الدرجة الأولى وهي الدرجة الإدراكية[...].

3– الدرجة الإخبارية: وهي الدرجة التي يحتاج فيها المخاطب إلى إخباره بالرسالة من جهة مخصوصة عالمة بما لا يمكن أن يلتقطه إدراكيا أو تأمليا بعد شعوره بالعجز عن التقاطها، وهذا ما يتوافر بكثرة في النصوص ذات الصبغة الدينية، التي لا يعلم برسالتها المصاحبة إلا الله ومن يختصهم الله بعلمها، أي أن معلوماتهم إلهية المصدر[...] ومن الشواهد البيّنة[...] ما ذكرته سورة الكهف من حوار بين النبي موسى والخضر(ع)"[2:25– 29]، [2:3].

2) ما مصدر الرسائل المصاحبة في هذا البحث؟

الرسالة المصاحبة في الأحاديث النبوية الشريفة بشكل عام إلهية المصدر، من حيث إن الله سبحانه وتعالى وصف النبي(ص) بقوله تعالى:(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {النجم/2} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى {النجم/3} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى {النجم/4})، وخاطب نبيه الكريم(ص) قائلا:(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ {النحل/44})، وبيّن له موقفه وموضعه مقابل موقف المشركين وموضعهم:(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {يوسف/108}).

3) ما البحوث السابقة؟

1- الرسالة المصاحبة في المحاججة النقدية بين حسان والنابغة– في ضوء النظرية التداولية (بحث)، أ. د. قيس حمزة الخفاجي وأ. م. د. كاظم جاسم العزاوي، منشور في مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، عدد خاص ببحوث المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، 2017م: 21– 48.

2- الرسالة المصاحبة بعدا تداوليا جديدا– حديث(خاصف النعل) برواية الخدري أنموذجا(بحث)، أ. د. قيس حمزة الخفاجي وأ. م.د. كاظم جاسم العزاوي، مجلة العميد، س7، مج7، ع26، 2018م: 21– 42.

3- تداولية الرسالة المصاحبة في آية القلبين(بحث مخطوط، مُشترك به في المؤتمر العلمي السابع عشر، الكلية الإسلامية الجامعة في النجف الأشرف)، أ. د. قيس حمزة الخفاجي وأ. م. د. كاظم جاسم العزاوي، 2017م.

4- الرسالة المصاحبة في سورة يوسف(ع)(بحث مسجل في الخطة العلمية لقسم اللغة العربية في كلية الآداب/ جامعة بابل للعام الدراسي 2017– 2018م– تحت الإنجاز)، أ. د. قيس حمزة الخفاجي وأ.م.د. كاظم جاسم العزاوي.

4) ما متن هذا البحث؟

بغية التنظيم المنهجي وتحديد متن هذا البحث، اكتفينا بالاصطلاحات النبوية الشريفة الواردة في الكتب الخمسة الآتية؛ لشهرتها بين المسلمين، ولسعة مساحة تقبّلها، ولقدمها نسبيا، ولكونها في قرن واحد فقط هو القرن الثالث الهجري:

أ – صحيح البخاري(ت 256 ه). ب– صحيح مسلم(ت 261 ه). ت– سنن ابن ماجه(ت 273 ه).

ث– سنن أبي داود(ت 275 ه). ج– سنن الترمذي(ت 279 ه).

5) ما دلالة الاصطلاح النبوي؟ وما علاقته بالمصطلح الإسلامي؟

إذا كان الاصطلاح المتداول "عبارة عن اتفاقٍ قام على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول"[4: 27]، أو هو "اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى"[27:4]، بما يوحي بشكل كبير باشتراط وجود مجموعة من الناس تتفق لتأسيس مصطلح ما، فإن من تعريفاته ما لا يوحي – بشكل كبير– بذلك، إذ ورد أن "الاصطلاح لفظٌ معين بين قوم معينين"[27:4]، بما يمكن أن يُحمل على أن شخصا ما منهم، استعمل لفظا ما وتابعه الآخرون في ذلك الاستعمال، بل هناك ما لا يوحي أبدا بذلك الشرط، إذ ورد أن "الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد"[27:4]، وكذلك ورد أن "الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما"[27:4]، وهذا يعني إمكانية أن يقوم شخص ما، ذو سلطة ما، بذلك الإخراج؛ لبيان مراده، أو لشعوره بالمناسبة بينهما، ويتقبله الآخرون معبرين عن ذلك القبول بالإفصاح عنه، أو بالسكوت وعدم الاعتراض.

وليس هذا بأمر مستغرب ولا جديد، فالإجماع عند العرب نوعان: إجماع قولي وإجماع سكوتي، وهو أن ينطق أحد ما متخصص في حقل ما، بحكم ما، ويسكت الباقون من دون اعتراض عليه[ظ: 5: 22]، وينبني ذلك على ما يقتضيه النص، من حيث إن اقتضاء النص هو "دلالة اللفظ على معنى خارج يتوقف عليه صدق الكلام أو صحته الشرعية أو العقلية"[63:5].

ولما كان "المصطلح الإسلامي: هو باختصار كل لفظ أو تعبير ومفهوم جديد في اللغة العربية مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والفقه الإسلامي"[1:6]، فإن الاصطلاح النبوي مما يمكن أن يُفيده المتلقي من المصدر الثاني من مصادر المصطلح الإسلامي، وهو السنة النبوية الشريفة، من خلال تأسيس النبي(ص) له، وبما يدل على تقبل المسلمين له.

وعليه يمكن أن نعرّف الاصطلاح النبوي بأنه: كل لفظ أو تعبير، أسس النبي(ص) دلالته الشرعية المختلفة عن الدلالتين اللغوية والاجتماعية المتداولة، مستعينا في ذلك التأسيس الاصطلاحي، بسلطته الدينية التشريعية.

ولما كان(المصطلح الإسلامي) يشتمل على ثلاثة أنواع من المصطلحات في اللغة:

1. مصطلحات جديدة لم تكن جزءا من مفردات اللغة العربية أصلا.
2. مصطلحات موجودة أصلا في اللغة العربية ولكن بمفهوم جديد، أو بُعد دلالي جديد.
3. المصطلحات الإسلامية التي وافقت مصطلحات في اللغة العربية شكلا ومضمونا[1:6].

فإن مصطلحات مادة هذا البحث هي من النوع الثاني من هذه الأنواع الثلاثة.

6) ما الغاية من هذا البحث؟

الغاية هي محاولة تأكيد أن الرسالة المصاحبة تتحقق في طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، وتتأسس في طائفة أخرى منها، أو من خلالها، بعد أن وجدناها متحققة في حديث نبوي شريف عن(خاصف النعل)، ومتحققة كذلك في طائفة من آيات القرآن الكريم، وفي مجموعة من المواقف النقدية في النقد الأدبي العربي القديم.

2- المحور الثاني/ملء الفراغات بالمصطلحات المؤسسة لرسائل مصاحبة

لو حذفنا بعض الكلمات- التي صارت تحمل رسائل مصاحبة منذ اللحظة التي قيلت فيها- من عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، واعتمدنا على ثقافتنا الدينية الإسلامية، لربما استطعنا أن نملأ تلك الفراغات بسهولة ويسر، ومن ذلك مثلا:

1- لو قرأنا الجملة الآتية:(..... من سلِم المسلمون من لسانِه ويدِه)، فإننا سنبادر- بطريقة إدراكية على وفق معرفتنا السابقة القائمة على الطريقة الإخبارية- إلى ملء الفراغ، وذلك بإعادة الكلمة المحذوفة وهي(المسلم)، فإذا كانت الدلالة الاجتماعية المتداولة العامة لكلمة(المُسلم) هي: من دان بدين الإسلام أي اتّبعه[5 398، [7: 182]، [8: 206]، فإن ذلك الاتّباع يقتضي منه أن يكون مسلما كاملا[ظ: 9: 365]، وأهم علامة لكمال إسلامه ألا يؤذي المسلمين بفعل أو بقول، قال النبي (ص)- على سبيل الإخبار التعليمي:(المسلم من سلِم المسلمون من لسانِه ويدِه)[12:10،ح10]، [11: 464،ح2481]، [12: 592،ح2627]، وبهذا الحديث الشريف أسس النبي(ص) رسالة مصاحبة اجتماعية شرعية خاصة لا يمكن معرفتها أول الأمر إلا بالإخبار عنها وكشفها، والرسالة المصاحبة هنا تحضّ على بلوغ الكمال في الإسلام، وليس مجرد النطق بالشهادتين... ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تكشف عن ذلك، قوله(ص): (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه [...])[11: 916، ح4893]، وقوله(ص):(المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله[...]) [12: 440، ح 1927]، وقوله(ص) حين سئل عن أي المسلمين أفضل:(من سلم المسلمون من لسانه ويده)[12: 592، 2628]، [564، ح 2504]، وعليه يمكن أن تقول لشخص يعتنق الدين الإسلامي ويؤذي الناس بلسانه ويده:(لست مسلما).

2- حين نتلقى الجملة الآتية:(ليس.... بالصُّرَعة، إنما.... الذي يملِكُ نفسَه عند الغضب)[10: 720،ح 6114]، [16:13/ 152،ح2609]، لا نستطيع أن نملأ الفراغين إلا بالاستعانة بمعرفتنا الدينية التي يمكن أن تسعفنا في ذلك، بأن تكون الكلمة المحذوفة هي(الشديد)، وهذه الدلالة الجديدة لكلمة(الشديد)، تختلف عن الدلالة الاجتماعية المتعارف عليها، إذ إن "أصل الصرعة في كلام العرب الذي يصرع الناس كثيرا"[16:13/ 153، في شرح ح 2608]، ولذلك وجدنا من يوضح حديث النبي(ص):(ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملِكُ نفسَه عند الغضب)[10: 720،ح 6114]، [16:13/ 152،ح2609]، بالقول: "تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال، بل يصرعهم، وليس هو كذلك شرعا، بل هو من يملك نفسه عند الغضب، فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قلّ من يقدر على التخلّق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول"[13: 16/ 153- 154،ح2608]، وقد أعطى رسول الله(ص) الدلالة الاجتماعية المتداولة العامة أولا، بقوله(ليس الشديد بالصرعة)، لا ليلغيها اجتماعيا- مع أن سياق الحديث قد يوحي بذلك- فالرجل القوي الشجاع سند للمجتمع إن استعمل قوته بشكل إيجابي، وإنما قال ذلك؛ ليبذر في المجتمع قيمة أسمى من القوة الجسدية المتمثلة بصرعه الرجال وعدم قدرة الرجال على صرعه، ألا وهي قيمة القوة الروحية المتمثلة

بالتحكم بالنفس ولا سيما وقت الغضب، لما للغضب من تأثير نفسي يضعف قدرة الإنسان على التحكم بنفسه وبأفعاله وبأقواله، ولذلك ذكر(ص) الرسالة الاجتماعية الشرعية الخاصة المصاحبة- على سبيل الإخبار التعليمي- بطريقة الحصر(إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)، وهذا مما ينسجم مع صفات المسلم الكامل مارّة الذكر في الحديث السابق... ومما يدعم هاتين الدلالتين؛ الدلالة الاجتماعية المتداولة العامة والدلالة الاجتماعية الشرعية الخاصة، ما روي عن عبد الله بن مسعود، أن النبي(ص) قال:((فما تَعُدُّون الصرعة فيكم؟) قال: قلنا: الذي لا يَصْرَعُه الرجال، قال:(ليس بذلك، ولكنه الذي يملِكُ نفسَه عند الغضَب))[16:13/ 152،ح2608]، [11: 898،ح4779]، فمضمون هذا الحديث قريب من مضمون الحديث السابق، ولكن الكلمة المحذوفة هنا هي(الصُّرَعة)، والنبي(ص) جعل الصحابة هم من يذكر الدلالة الاصطلاحية لكلمة(صُرَعة)، ثم بيّن لهم- على سبيل الإخبار التعليمي- أن الصرعة التي يقصدها غير هذه الصرعة، ألا وهي ذلك الرجل الذي يملك نفسه عند الغضب، أي الرجل الشديد بالدلالة نفسها المقصودة في الحديث السابق، فهو الصرعة "الذي يصرَع من حاول صراعه لشدّته، يقول: فالحليم الذي يملك نفسه عند الغضب أقوى من هذا، وأشد، إذا منع نفسه عن الغضب، وصرفها عن استعماله عند ما يوجب عليه غضبه"[275:14]، [317:9]، وإذا كانت الباحثة فاطمة التلباني قد علقت على هذا الحديث قائلة:"اصطلح العلماء معنى الشديد بما يتوافق مع المعنى النبوي، فلم يُرَد المعنى العام للشديد، حيث أطلق اللفظ وأراد الضد"[317:9]؛ فإن ربطها الاصطلاحي هذا غير صحيح؛ لأن هذا المعنى الذي ذكره العلماء المعنيون- وهو المعنى الشرعي الذي تأسست عليه الرسالة المصاحبة- أخذوه من جملة الحديث النبوي الشريف نفسها لتفسير الحديث النبوي الشريف المعنيّ الوارد في كتابين مهمين من كتب الحديث النبوي الشريف(صحيح البخاري وصحيح مسلم)، ولم يكن ما ذكروه معنى اصطلاحيا اجتماعيا متداولا عاما... ويمكن توظيف مفردة(شديد) برسالتها المصاحبة، بقولنا لمن لم يملك نفسه عند الغضب وصرع كل من واجهه:(أنت لست شديدا).

3- لو وضع أمامنا لغاية اختبار معرفتنا بالرسالة المصاحبة، قول النبي(ص) وفيه بعض الحذف:(إذا سمعتم المؤذّنَ، فقولوا مثلَ ما يقول، ثم صلّوا عليّ، فإنّه مَن صلّى عليّ صلاةً، صلّى الله عليه بها عشرا، ثم سَلُوا اللهَ لي.... فإنّها منزلةٌ في الجنّة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي.... حلّت له الشفاعة)[4:13/ 69ح384]، [11: 112،ح523]، وبطريقة تأملية في ثقافتنا الدينية التي تلقيناها في الدعاء بما روي عن النبي، وهو قوله(ص):"من قال حين يسمع النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة"[10: 76، ح 614]، [560،ح4719]، [15: 139،ح722]، [12: 62،ح211]، نضع كلمة(الوسيلة) في الفراغ، وسياق الحديثين يؤكد أن كلمة(الوسيلة) هنا لا يراد منها الدلالة اللغوية عند أهل اللغة، وهي "المنزلة عند الملك"[13: 4/70،ح384]، ولا الدلالة الاصطلاحية الاجتماعية المتداولة العامة وهي "ما يُتقرَّب به إلى الغير ليحصل الوصول إليه"[237:8]، [374:5]، وإنما المراد بها "الدرجة الرفيعة التي أعدّها الله لرسوله في الجنة"[374:5]، وقد صرّح النووي أن النبي(ص) قد فسّر(الوسيلة) بأنها "منزلة في الجنة"[70/4:13،ح 384]، وقد أكد بعض الباحثين ذلك، بقوله:"ثبت ذلك في(صحيح مسلم) من كلام رسول الله(ص)"[3:16/ 479]، أي أن النبي (ص) هو من أخبر بها إخبارا تعليميا... ويمكن توظيف مفردة(الوسيلة) وهي تحمل رسالة مصاحبة بقولك مخبرا:(الوسيلة خاصة بالنبي(ص)).

مما مرّ وأمثاله يتبين لنا أن اكتشاف الرسالة المصاحبة التي أسسها النبي(ص) في أحاديثه الشريفة ليست سهلة الالتقاط على من لا يمتلك خزينا معرفيا بالسنة النبوية الشريفة، مما يجعل المتلقين يتباينون في درجات اكتشافها، فمنهم من يلتقطها إدراكيا لقوة صلته بالسنة الشريفة وكثرة خزينه منها بما يذكّره بإخبار النبي(ص) بها، ومنهم من يحتاج إلى وقت وتأمل وإعمال فكر لاستذكار ما يمكن أن يفيد منه في اكتشاف تلك الرسالة بناء على ذلك الإخبار، ومنهم من لا يسعفه ذلك كله، فيحتاج إلى الإخبار بها.

ومثل هذا الأمر بالتباين ليس منحصرا بنوع معين من الرسائل المصاحبة، وإنما يمكن أن يحدث في أنوع الرسائل المصاحبة جميعها.

3- المحور الثالث/اختيار المصطلحات المؤسسة لرسالة مصاحبة

لو طُلب منا أن نختار المصطلحات التي تحمل رسائل مصاحبة في الأحاديث النبوية الآتية مما تحته خط، مبينين سبب صحة ذلك الاختيار، فإننا يمكن أن نتعامل مع هذا الطلب بالطريقة الآتية:

1) لو وضع خط تحت(الساعة) و(الأمانة) و(إضاعتها) في ما روي عن أبي هريرة أنه قال:(بينما النبي(ص) في مجلس يحدّث القوم، جاءه أعرابي فقال:(متى الساعة؟)، فمضى رسول الله(ص) يحدّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكرِه ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال:(أين أراه السائل عن الساعة؟)، قال: ها أنا يا رسول الله، قال:(فإذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر الساعة)، قال: كيف إضاعتها؟ قال:(إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة))[18:10،ح59]، فباستعانتنا بمعرفتنا اللغوية والاصطلاحية الاجتماعية المتداولة العامة لتلك الكلمات، لتحديد الكلمة التي أسست لرسالة مصاحبة اجتماعية شرعية خاصة، من خلال النظر في الحديث الشريف، سيظهر لنا أن الكلمة المعنية هي(الأمانة)، من حيث إنها وردت في هذا الحديث الشريف بمعنى اجتماعي غير متداول، بل هو معنى اجتماعي شرعي خاص، فالأمانة لغة "ضد الخيانة"[17: مادة(أ م ن)، و7: 26]، واصطلاحا هي:"الشيء الذي يوجد عند أمين"[8: 35]، ومن ثم فإن الوديعة هي "الأمانة التي تركت عند الغير للحفظ قصدا"[4: 210]، [69:5]، [9: 34]، و"الأمانة تقع على الطاعة، والعبادة، والوديعة، والثقة"[5: 69]، [34:9]، بينما وردت في الحديث الشريف بدلالة اجتماعية شرعية خاصة جدا، في قوله(ص)- على سبيل الإخبار التعليمي: (إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله)، وقال بعضهم: إن من ذلك الأمر "الخلافة والقضاء والإفتاء ونحو ذلك"[10/2:18]، وهذا يعني أن(الأمر) وهو(أمر الله) يجب أن يتولاه من هو أهلٌ لتولّيه، وهذا يدل على أن أي تجاوز على متضمنات هذا(الأمر) يكون أمرا خطيرا جدا على بنية الإسلام، ويكشف عن مدى قرب كيفيات التعامل معه، من أُسُسه التي أُرسل بها النبي(ص) من خلال نزول القرآن الكريم ومن بيان تلك الأسس في السنة النبوية الشريفة... قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {المائدة/67} قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ {المائدة/68})... ويمكن توظيف مفردة(الأمانة) وهي تحمل رسالة مصاحبة، بجملة مثل:(لقد ضاعت الأمانة منذ أكثر من ألف عام).

2) حين نجد خطا تحت(المفلس) و(حسنات) و(خطايا)، في ما ورد عن النبي(ص) أنه لما سأل أصحابه:((أتدرون ما المُفْلِس؟)، قالوا: المفلس فينا من لا درهمَ له ولا مَتاعَ، فقال(ص):(إن المفلسَ من أمّتي يأتي يومَ القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا،

وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه، أُخِذ من خطاياهم فطُرِحت عليه، ثم طُرِح في النار)[13: 16م126،ح2581]، [12: 545،ح2418]، فبمعرفتنا بدلالتي الحسنات والخطايا في داخل الحديث النبوي، وفي الاستعمال المتداول، سنستبعدهما من الاختيار، ولما كان المفلس في الدلالة اللغوية هو: من "لم يبق له مال"[17: مادة(ف ل س)]، و"يقابله المَلِيّ والغنيّ"[8: 213]، وقيل:"أفلس الرجل صار ذا فلوس بعد أن كان ذا دراهم، يفلس إفلاسا: صار مفلسا"[17: مادة(ف ل س)]، أي أنه "من لا مال له إلا الفلوس، وهي أدنى أنواع المال"[5: 416]، ولما كان المفلس في الدلالة الاصطلاحية المتداولة هو:"من كان دَينُه أكثر من ماله، وخَرجُه أكثر من دخله"[5: 416]، [7: 290]، فإن دلالته المرادة من النبي(ص) تؤكد أن كلمة(المفلس) هي التي أسست رسالة مصاحبة، فالدلالة في قوله (ص) في الحديث) – على سبيل الإخبار التعليمي:(إن المفلسَ من أمّتي يأتي يومَ القيامة بصلاة...) هي "حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قلّ ماله، فالناس يسمّونه مفلسا، وليس هو حقيقة المفلس؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإن فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم ألقي في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"[13:16/128– 129، في شرح ح 2581]، وذكر بعضهم دلالته هذه في الحديث الشريف على أنها دلالة اصطلاحية[7: 290]، والأمر كما تبين ليس كذلك، وإنما هي دلالة اجتماعية شرعية خاصة وليست دلالة اجتماعية متداولة عامة... ويمكن توظيف كلمة(المفلس) بجملة ذات رسالة مصاحبة، مثل:(إياك أن تكون يوم القيامة مفلسا).

3) إذا ما وجدنا خطا تحت(الغنى والعرَض والنفس) في قول النبي(ص):(ليس الغِنى عن كثرة العَرَض، ولكنّ الغنى غنى النفس)[10: 755،ح6446]، [15: 688،ح4137]، [12: 534،ح 2373]، فإننا سنختار كلمة(الغنى) لكون الحديث نفسه يكشف عن دلالتين مختلفتين؛ إحداهما اجتماعية متداولة عامة تدل على اليسار، أي الزيادة عن حد الكفاية والقدرة على القيام بالواجب المالي[5: 303]، أي هي:"الاكتفاء، واليَسار ضد العَسار"[8: 159]، وثانيهما دلالة اجتماعية شرعية خاصة(غنى النفس) أخبر عنها النبي(ص) إخبارا تعليميا... ويمكن توظيفها بجملة مناسبة هنا، كأن تقول عمن لا يملك القدرة على القيام بالواجب المالي، ولكنه يملك أخلاقا عالية:(هو غني).

4– المحور الرابع/تعليل مجيء مصطلحات مؤسسة لرسائل مصاحبة

لو قيل لنا أن ما تحته خط في الأحاديث النبوية الآتية، مصطلحات تؤسس لرسائل مصاحبة، فما تعليلنا لذلك؟ الجواب على وفق الآتي:

1) قال النبي(ص):(البخيل الذي من ذُكرت عنده فلم يُصلِّ عليّ)[12: 805، ح 3546]: إن الدلالة اللغوية للبُخل، هي أنه "ضد الكرم"[17: مادة(ب خ ل)]، وهي "منع الفضل والإمساك عن البذل، يقابله الجود"[5: 84]، والدلالة الاصطلاحية لهذه لكلمة، هي "منع الرجل القادر العطاءَ بالمعروف من ماله"[5: 84]، أي "المنع من مال نفسه، ويقابله الجود"[8: 43]، فـ"البخيل يأكل ولا يعطي"[19: 1/ 242]، [9: 276]، ومما يشير إلى وجود دلالة اجتماعية شرعية خاصة في كلمة(البخل)، قول الباحثة فاطمة التلباني :"البخل له معنى عام بتعريف أهل اللغة والاصطلاح، وآخر خاص بتعريف أهل الشرع، ونجد أن النبي(ص) استعمل في تعريفه المعنى الخاص دون العام"[9: 278]– على سبيل الإخبار التعليمي... وعدم الصلاة على النبي(ص) يختلف عمّا ذُكر من دلالات لغوية واصطلاحية، ويؤسس لرسالة مصاحبة يمكن توظيفها حين يذكر النبي(ص)

فيصلي عليه الجميع ما عدا أحدهم فلا يصلّي عليه، فيقال عنه:(إنه بخيل)، وعدم الصلاة هذه صفة يجب ألا يتصف بها المؤمن، وقد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ما يكشف عن شموله بالحكم وإن كانت دلالة(البخل)– على ما يبدو– عامة فيها، كقوله(ص):(خصلتان لا تجتمعان في مؤمن؛ البخل وسوء الخلق)[12: 446، ح 1962]، وقوله(ص):(لا يدخل الجنة خِبٌ ولا منّان ولا بخيل)[12: 447،ح 1963].

2) روي عن عبدالله بن مسعود، أن النبي(ص) قال:((ما تَعُدّون الرَّقُوب فيكم؟)، قال: قلنا: الذي لا يُولد له. قال(ص):(ليس ذاك بالرَّقُوب، ولكنه الرجل الذي لم يُقَدِّم من وَلَده شيئا)"[13: 16/ 153،ح 2608]: إن التضاد بين الدلالتين(لم يقدم من ولده شيئا) و(لا يولد له) يدل على وجود دلالة اجتماعية شرعية خاصة أخبر عنها النبي(ص) إخبارا تعليميا، بإزاء دلالة اجتماعية متداولة عامة، وإن كان "أصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد"[13: 153/16،ح2608]، [151:7]، وهي تقال "للرجل والمرأة"[151:7]، فإن "معنى الحديث: أنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعا، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته، فيحتسبه يكتب له ثواب مصيبته به، وثواب صبره عليه ويكون له فرطا وسلفا"[13: 16/ 153، ح 2608]... وعليه يمكن توظيف مفردة(الرقوب) وهي تحمل رسالة مصاحبة بدلالتها الشرعية، بقولك لمن مات أحد أولادهما في حياتهما:(ما عُدتُما رقوبين).

3) قال النبي(ص):(إن من أكبرِ الكبائرِ أن يَلْعَنَ الرجلُ والديه). قيل: يا رسولَ اللهِ، وكيف يلعنُ الرجلُ والديه؟ قال:(يسبُّ الرجلُ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمّه))[10: 707، وح 5973]، [11:959،ح 5141]: إذا استحضرنا الدلالة اللغوية لِلَّعْن، وهي:"ما يُلْعَن به من سبّ وخزي"[361:5]، والدلالة الاصطلاحية المتداولة له، وهي:"الطرد من الرحمة"[361:5]، متذكرين أن "اللعن من الله: هو إبعاد العبد بسخطه، ومن الإنسان الدعاء بسخطه"[4: 161]، [188:8]، فإننا سنتأكد أن لعنَ الرجلِ والديه أمر يخفى تحقّقه، وقد خفي على من سمعوا هذا الحديث من رسول الله(ص)، واحتاجوا إلى أن يخبرهم بكيفية تحققه إخبارا تعليميا... ويمكن أن يقول أحد ما لآخر على سبيل التنبيه والإرشاد والنصيحة – وقد سمعه يسبّ شخصا ما:(لا تلعن والديك).

5– المحور الخامس/نسبة المصطلحات المؤسسة إلى رسائلها المصاحبة

بعد هذه الجولة التعريفية بالرسالة المصاحبة وتجليات تأسيسها في الحديث النبوي الشريف، يمكن أن نختبر قدرتنا في عملية نسبة المصطلحات الحاملة إلى رسائلها المصاحبة، مستعينين بالأحاديث النبوية الشريفة، في الأمثلة الآتية:

أ) **تيس مستعار:**(التقى رجل بآخرَين في الشارع، فقال لهما: ما بال ذلك الشاب يدور بين الناس ويسأل؟ هل فقد عقله بعد تطليقه زوجته ثلاث مرات؟ فقال أحدهما: يبحث عن تيس يستعيره، وأردف الآخر: ولا يحق له ذلك. فقال الرجل: ولم لا يحق له ذلك؟! إعارة التيس والخروف والثور أمر وارد، فقال الثاني: أخبرتك بحكم الشرع): بناء على معلوماتنا من الأمثلة السابقة، فإننا نحتاج أولا إلى تحديد الدلالة الاصطلاحية المتداولة العامة للتيس المستعار، وهي:"الذكر من المعز، إذا أتى عليه حول"[20 :79]، [285:9]، ومن ثم نبحث عن مصدر الحكم الشرعي، ونجده في قول النبي (ص):((ألا أُخبركم بالتَيْس المُستعار؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال(ص):(هو المُحَلِّل، لعن اللهُ المُحلِّلَ والمُحَلَّلَ له))[15:335،ح 1936]، [ح1934 وح1935]، أي أن الرسالة المصاحبة هنا هي: من يعير نفسه بالوطء لغرض الغير، فيتزوج مطلقة غيره ثلاثا، بقصد أن يطلقها بعد الوطء، ليحل للمطلِّق نكاحها، فكأنه يحلها على الزوج الأول بالنكاح بالوطء[21: 271/5]، [9: 286]،

وقد وهمت الباحثة فاطمة التلباني فجعلتْ هذه الدلالة الشرعية الخاصة، مادة للتعريف الاصطلاحي المتداول[9: 286].

ب) **مهاجر:**(قال لشخص تقي لم يبرح بلده: أنت مهاجر)، هذا القول يصطدم بالدلالتين اللغوية والاصطلاحية الاجتماعية المتداولة العامة لكلمة(مهاجر)، من حيث إن الدلالة اللغوية للمهاجر، هي:"كل من فارق بلده إلى بلد آخر"[5: 436]، وإن الدلالة الاصطلاحية المتداولة للمهاجرين، هي:"صحابة رسول الله(ص) الذين هاجروا من مكة إلى المدينة"[5: 436]، [4: 214]، ولكن ذلك الاصطدام يزول أثره السلبي بعد الاطلاع على حديث النبي(ص):(والمُهاجرُ من هَجَرَ ما نهى اللهُ عنه)[10: 12،ح10]، [11:464،ح2481].

ت) **مسكين:**(وجد طوافا يقول:(أطعموني، فأنا مسكين)، فقال له:(لستَ مسكينا))، وهذا الحكم الشرعي مبني على أحاديث للنبي(ص)، روي أنه قال فيها:(ليس المسكينُ الذي تَرُدُّه الأُكْلَةُ والأُكْلتان، ولكنّ المسكينَ الذي ليس له غِنًى، ويستحيي أو لا يسألُ الناسَ إلحافا)[10: 169،ح 1476]، وقال (ص):(ليس المسكينُ بالذي تَرُدُّه التمرةُ والتمرتان، ولا اللُّقْمةُ واللقمتان، إنما المسكين المتعفف. اقرؤوا إن شئتم(لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا{البقرة/273}))[13: 7/ 128،ح 1039]، [11: 306،ح1632]، وقال(ص):((ليس المسكينُ بهذا الطَّوَّافِ الذي يطوفُ على الناس، فتردُّه اللُّقْمةُ واللقمتان، والتمرةُ والتمرتان)، قالوا: فما المسكين؟ يا رسول الله، قال:(الذي لا يجدُ غِنًى يُغنيه، ولا يُفطنُ له فيُتصدَّقَ عليه، ولا يسأل الناسَ شيئا))[13:7/ 128،ح 1039]، [11: 306،ح1631]، فإذا كانت الدلالة اللغوية للمسكين، هي:"من لا يملك شيئا من المال، وهو أسوأ حالا من الفقير"[5: 498]، وأن الدلالة الاصطلاحية الاجتماعية المتداولة العامة للمسكين، هي:"الذي أسكنه العجز، يعني من لا شيء له فيحتاج إلى المسألة، وهو أسوأ حالا من الفقير على الأصح"[8: 206]، فإن الدلالة الشرعية الخاصة للمسكين، التي أخبر عنها النبي(ص)– على سبيل الإخبار التعليمي ابتداء أو إجابة لسؤال، هي أن "المسكين الكامل المسكنة الذي هو أحق بالصدقة وأحوج إليها، ليس هو هذا الطوّاف، بل هو الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطن له، ولا يسأل الناس، وليس معناه نفي أصل المسكنة عن الطوّاف، بل معناه نفي كمال المسكنة"[13: 7/ 128، في شرح ح 1039].

6– المحور السادس/تطبيقات في المصطلحات المؤسسة لرسائل مصاحبة

لو قيل لنا: هل يمكن تطبيق هذا الأمر على أحاديث نبوية أخرى؟ أو أن الأمر منحصر بهذه الأحاديث مارة الذكر في المحاور السابقة؟ فسيكون الجواب بإمكانية ذلك، بكل سهولة ويسر، ومن ذلك:

أ- **الإثم:**(قال لرفيقه: أعوذ بالله، لقد جنيتُ إثما قبل قليل. فقال له رفيقه: كيف حصل ذلك وأنت لم تغب عن عيني منذ الصباح، ولم تقم من موضعك، ولم تفعل أي شيء، ولم تقل أية كلمة؟! سوى أني أراك تفكر؟! قال له: ليس الأمر كما تقول، وإنما عنيت ما فسّر به النبي(ص) الإثم، بقوله(الإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس))[13:6/ 105، ح 2553]، [12:538،ح2389]، فالقائل الأول ضمّن كلامه رسالة مصاحبة، تجعل عددا من المتلقين يتركون المعنى الاجتماعي المتداول، ويعنون بالمعنى الاجتماعي الشرعي، مفيدين مما أسسه النبي(ص) في هذا الحديث، من حيث إن الدلالة اللغوية للإثم هي:"الذنب، وقيل هو أن يعمل ما لا يحلّ له"[17] [5: 20]، و"أثِم فلان[...] يأثَم إثما ومَأثما، أي وقع في الإثم، فهو آثم"[17: مادة(أ ث م)]، ومن حيث إن الدلالة الاصطلاحية المتداولة للإثم، هي:"ما يترتب على المعصية في الآخرة"[5: 20]، أو "هو ما يجب التحرز منه شرعا وهو المأثم"[8: 16]، أو "هو ما يجب التحرز منه شرعا وطبعا"[7: 13]، [9: 246]، ومن حيث إن "معنى(حاك في صدرك) أي تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في

القلب منه الشك، وخوف كونه كاذبا"[13: 16/ 106، في شرح ح 2553]، وهذا ميزان لأهل الخير والصلاح[9: 247]، وفيه إشارة إلى أن الله جعل في القلوب إدراكا للذنوب، وأن الشيء الذي يُكره اطلاع الناس عليه دليل على أنه من الإثم"[9: 247]، وقد تنبه بعض الباحثين إلى خصوصية الدلالة الشرعية لمفردة(الإثم) في هذا القول النبوي، فعدها – كما عددناها في بحثنا هذا– مصطلحا في الحديث الشريف[7: 13].

ب- **الإحسان:**(قال لصاحبه وقد رآه يرائي أمام الآخرين بصلاة– وقد أحسن في أدائها: ماذا لو اتصفت بالإحسان؟!): إن الدلالة اللغوية للإحسان هي أنه:"ضد الإساءة"[17: مادة(ح س ن)]، [8: 18]، أي "فعل ما ينبغي أن يُفعل من الخير"[4: 13– 14]، وإن الدلالة الاصطلاحية المتداولة للإحسان، هي: الإنعام على الغير، أو الإحسان في الفعل علما أو عملا[22:1/ 236]، [27:9]، وقد وهمت الباحثة فاطمة التلباني، إذ جعلت الدلالة الاصطلاحية المتداولة، مادة للتعريف اللغوي[27:9]، وإن الرسالة المصاحبة للإحسان تتجلى في ما روي عن النبي(ص) أنه كان (بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال[...] ما الإحسان؟ قال:(أنْ تعبُدَ اللهَ كأنّك تراهُ، فإنْ لم تكن تراهُ فإنّه يراك)[...] ثم أدبر، فقال:(ردّوه)، فلم يروا شيئا، قال:(هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم))[10: 16– 17،ح50]، [12: 588،ح2610]، وهذه الدلالة الشرعية الخاصة، جعلت بعض الباحثين يضعه تحت عنوان الإخلاص، إذ قال:"الإخلاص: هو الإحسان المعبَّر بقوله عليه الصلاة والسلام:(أنْ تعبُدَ اللهَ كأنّك تراهُ، فإنْ لم تكن تراهُ فإنّه يراك)[20:8]، ومنعته من أن يضعه تحت عنوان(الإحسان)[8 : 18]، ومن الباحثين من يرون– كما رأينا في بحثنا هذا– أن هذا القول للنبي(ص) يمثل مفهوم مصطلح الإحسان في الشريعة[4: 14]، [89:7]، [82/1:16].

ت- **أكرم الناس:** قال لأحدهم(في ضمن مجموعة متنوعة الأديان والثقافات): أنت أكرم الموجودين هنا، والتفت إلى آخر، وقال له: أنت أكرم الموجودين هنا، والتفت إلى ثالث، وقال له: أنت أكرم الموجودين هنا، فاستغرب بعضهم كلامه، وقال له: ما نعرف إلا أصلين للأكرمية وهما المعدن والنسب، وقد جعلت ثلاثة أشخاص يتنازعون أصلين للظفر بمرتبة واحدة؟! فقال له: الأصلان المذكوران اجتماعيان متداولان، والأصل الثالث اجتماعي شرعي وهو التقوى استنادا إلى قول النبي(ص) حين سئل: من أكرم الناس؟:(أكرمهم أتقاهم))... فواحدة من كلمات(أكرم) لا يعني بها المعدن والنسب، وإنما جعلها تحمل رسالة مصاحبة تتناسب مع شخصية المعني المتقي)... فإذا علمنا أن الدلالة اللغوية لكلمة(كرم) هي:"شرفٌ في الشيء في نفسه، أو شرفٌ في خُلقٍ من الأخلاق" [23:5/171– 172]، [411:9]، والدلالة الاصطلاحية المتداولة للكرم، هي: "الإعطاء بالسهولة"[4: 154]، [8: 182]، فإن النبي(ص) ومن سأله لم يذكرا هذه الدلالة للكرم في تعبيرهم عن أكرم الناس، لدخولها في باب التباهي والتفاخر، وعدم ثبوتيتها زمانيا ومكانيا، وإنما ذكروا ما ورد في سياق الحديث النبوي المعني، وهو: عن أبي هريرة:(قيل للنبي(ص): من أكرم الناس؟ قال: (أكرمهم أتقاهم)، قالوا: يا نبي الله، ليس عن هذا نسألك، قال:(فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله)، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال:(فعن معادن العرب تسألوني؟)، قالوا: نعم، قال:(فخيارُكم في الجاهلية خيارُكم في الإسلام إذا فقهوا))[10: 398،ح 3374]، وهذا الحديث يبين أن الدلالة العامة لا تلغى، وإنما يتم تأكيد الدلالة الشرعية الخاصة، وهي ما تبادرت– هنا– إلى ذهن النبي(ص) قبل الدلالتين العامتين الأخريين... وقد وهمت الباحثة فاطمة التلباني فجعلت الدلالة الشرعية الخاصة لأكرم الناس، وهي(أشد الناس لله عز وجل تقوى) تعريفا اصطلاحيا عاما[412:9].

7- المحور السابع/صيغ تأسيس المصطلحات المؤسسة لرسائل مصاحبة

لو حاولنا معرفة الصيغ التي وظفها النبي(ص) في أحاديثه النبوية الشريفة لتأسيس المصطلحات ذات الرسائل المصاحبة، فيمكن تحديد عدد منها، مثل ما يأتي:

أولا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بالإخبار الابتدائي: وهو أن يخبر النبي(ص) بالمصطلح المؤسس لرسالة مصاحبة، وبالمفهوم المصرح بتلك الرسالة ابتداء من غير سؤال، وينقسم على قسمين:

1/ الإخبار الابتدائي المتقدم: وهو أن يذكر ذلك المصطلح، ثم يذكر مفهومه، وهو على نوعين:

أ/ الإخبار الابتدائي المتقدم المفرد: وهو أن يذكر النبي(ص) مصطلحا واحدا يؤسس رسالة مصاحبة في الحديث الواحد، ومنه قوله(ص):(البخيل الذي من ذُكرت عنده فلم يُصلِّ عليّ)[12:805،ح3546]، وقوله(ص):([...] ثم سلُوا اللهَ لي الوسيلة فإنّها منزلةٌ في الجنّة[...])[13:4/69 ح 384]، [11:112،ح 523]، وقد يأتي ذلك الإخبار بمصطلح مؤسس لرسالة مصاحبة، بعد الإخبار بدلالة مصطلح متداول بغية تثبيته، كقوله(ص):(البرُّ حسنُ الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس))[13:6/ 105، ح2553]، [12: 538،ح2389]، فدلالة البر معروفة متداولة، ودلالة الإثم هنا جديدة.

ب/ الإخبار الابتدائي المتقدم المتعدد: وهو أن يذكر النبي(ص) أكثر من مصطلح يؤسس رسالة مصاحبة في الحديث الواحد، ومن ذلك قوله(ص):(المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويدِه، والمُهاجرُ من هَجَرَ ما نهى اللهُ عنه)[10:12،ح10]، [11:464،ح2481]، [12:592،ح2627]، وقوله(ص):(الكَيِّسُ مَن دان نفسَه وعمِل لما بعد الموت، والعاجزُ من أَتْبَعَ نفسَه هواها وتمنَى على الله)[15:705- 706،ح4260]، [12: 554،ح 2459].

2/ الإخبار الابتدائي المتأخر: وهو أن يذكر النبي(ص) المصطلح المؤسس لرسالة مصاحبة بعد أن يذكر المفهوم المصرح بتلك الرسالة، ومنه قوله(ص):(يَخرج قوم من النار بشفاعة محمد(ص)، فيدخلون الجنة، يُسَمَّون الجهنّميين)[10: 766،ح6566]، [11: 878،ح4740].

ثانيا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بالإجابة: وينقسم على قسمين:

1: الإجابة عن سؤال حقيقي: وهو على نوعين:

أ: الإجابة عن سؤال حقيقي من بشر: وهو على ضربين:

الضرب الأول: تقدم المصطلح وتأخر المفهوم: ومن ذلك جوابه(ص) حينما سئل عن الالتفات في الصلاة، بقوله:(هو اختلاسٌ يختلسُه الشيطانُ من صلاة العبد)[10: 88،ح751]، [11: 157،ح 910]، [12: 151، ح 590].

الضرب الثاني: تأخر المصطلح وتقدم المفهوم: ومنه جوابه(ص) لما سئل:(أي المؤمنين أكيس؟)، قال:(أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم لما بعده استعدادا، أولئك الأكياس)[15:705،ح4259].

ب: الإجابة عن سؤال حقيقي من ملك: روي عن النبي(ص) أنه كان(بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال[...] ما الإحسان؟ قال:(أنْ تعبُدَ اللهَ كأنّك تراهُ، فإنْ لم تكن تراهُ فإنّه يراك)[...] ثم أدبر، فقال:(ردّوه)، فلم يروا شيئا، قال:(هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم))[10: 16- 17،ح50]، [12: 588،ح2610].

2: الإجابة لدفع التوهم المصوغ بطريقة بلاغية: وهو على نوعين:

أ: الإجابة لدفع التوهم المصوغ بطريقة الاستفهام المضمر: ومن ذلك ما ورد في سياق قول النبي (ص):((لا يدخُلُ الجنَّةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كِبْر)! فقال رجل: إنَّ الرَّجلَ يُحبُّ أن يكون ثوبُه حسنًا، ونعلُه

حسنة، قال:(إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمال، الكِبْرُ: بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النَّاس)) [2:13/ 71- 72،ح91]، [12: 453،ح 1998 وح 1999].

ب: الإجابة لدفع التوهم المصوغ بطريقة الاستفهام الصريح: ومن ذلك ما روي عن عبدالله قال:(لما نزلت(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ {الأنعام/82})، قلنا يا رسول الله: أيّنا لا يظلم نفسه؟ قال (ص):(ليس كما تقولون: لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بِشِرْكٍ، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه:(يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ {لقمان/13}))[10:395،ح3360].

ثالثا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بنفي المفهوم المتداول: وهو على قسمين:

1// نفي المفهوم المتداول ثم الجواب: وهو على نوعين:

أ// **نفي المفهوم المتداول ثم الجواب عنه بـ(إنما):** ومنه قوله(ص):(ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملِكُ نفسَه عند الغضب)[10:720،ح6114]، [13: 16/ 152،ح2609] ، وقوله(ص):(ليس المسكينُ بالذي تَرُدُّه التمرةُ والتمرتان، ولا اللُّقْمةُ واللقمتان، إنما المسكين المتعفف. اقرؤوا إن شئتم(لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا {البقرة/273}))[13:7/128،ح1039]، [11:306،ح1632].

ب// **نفي المفهوم المتداول ثم الجواب عنه بـ(ولكنّ):** ومنه قوله(ص):(ليس الغِنى عن كثرة العَرَض، ولكنّ الغنى غنى النفس)[10: 755،ح 6446]، [15: 688،ح4137]، [12:534،ح2373]، وقوله(ص):(ليس المسكينُ الذي تَرُدُّه الأُكْلَةُ والأُكْلتان، ولكنّ المسكينَ الذي ليس له غِنًى، ويستحيي أو لا يسألُ الناسَ إلحافا)[10:169،ح1476].

2// نفي المفهوم المتداول ثم سماع السؤال ثم الجواب: ومنه ما ورد في سياق الحديث عن أبي هريرة أنه قال:(سمعت رسول الله(ص) يقول:(ليس الشديد بالصرعة)، قالوا: فالشديد أيُّمَ هو؟ يا رسول لله! قال:(الذي يملِكُ نفسَه عند الغضب))[13: 16/152،ح2609]، وقوله(ص):((ليس المسكينُ بهذا الطَّوَّافِ الذي يطوفُ على الناس، فتردُّه اللُّقْمةُ واللقمتان، والتمرةُ والتمرتان)، قالوا: فما المسكين؟ يا رسول الله، قال:(الذي لا يجدُ غِنًى يُغنيه، ولا يُفطنُ له فيُتصدَّقَ عليه، ولا يسأل الناسَ شيئا)[13:7/128،ح1039]، [11: 306،ح 1631]

رابعا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بإثارة سؤال عن مصطلح والجواب عليه: وهو على قسمين:

1_ إثارة سؤال عن مصطلح والجواب عليه مباشرة: ومنه قوله(ص):((ألا أُخبركم بالتَّيْس المُستعار؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال(ص):(هو المُحَلِّل، لعن اللهُ المُحِلِّلَ والمُحَلَّلَ له))[15:335،ح 1936، وظ: ح 1934 وح 1935].

2_ إثارة سؤال عن مصطلح والجواب بردّ المفهوم المتداول: وهو على نوعين:

أ_ **إثارة السؤال عن مصطلح وسماع الإجابة، ثم تقديم المفهوم الجديد:** ومنه قوله(ص) لما سأل أصحابه:((أتدرون ما المُفْلِس؟)، قالوا: المفلس فينا من لا درهمَ له ولا مَتاعَ، فقال(ص):(إن المفلسَ من أمّتي يأتي يومَ القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه، أُخِذ من خطاياهم فطُرِحت عليه، ثم طُرِح في النار)[13:16م126،ح2581]، [12: 545،ح 2418].

ب_ **إثارة السؤال عن مصطلح وسماع الإجابة ورفضها ثم تقديم المفهوم الجديد:** ومنه قوله (ص):((فما تَعُدُّون الصرعة فيكم؟) قال: قلنا: الذي لا يَصْرَعُه الرجال، قال:(ليس بذلك، ولكنه الذي يملِكُ نفسَه عند الغضَب)[13: 16/152،ح2608]، [11: 898،ح4779]، وقوله(ص): ((ما تَعُدّون الرَّقُوب فيكم؟)، قال:

قلنا: الذي لا يُولد له. قال(ص):(ليس ذاك بالرَّقُوب، ولكنه الرجل الذي لم يُقَدِّم من ولَده شيئا)"[16:13/ 153،ح 2608].

خامسا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بذكر المصطلح وسماع السؤال عنه، ثم الإجابة: ومن ذلك قوله(ص):([...](فإذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر الساعة)، قال: كيف إضاعتها؟ قال:(إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة))[10: 18،ح59]، وقوله(ص):(إن من أكبرِ الكبائرِ أن يَلْعَنَ الرجلُ والديه). قيل: يا رسولَ اللهِ، وكيف يلعنُ الرجلَ والديه؟ قال:(يسبُّ الرجلُ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه))[10:707، وح 5973]، [11:959،ح5141].

8- الخاتمة

تبينت لنا في هذا البحث أمور كثيرة، منها:

1) الأثر الكبير للنبي الكريم محمد(ص) في تأسيس رسائل مصاحبة في أحاديثه الشريفة.
2) الحديث النبوي الشريف متن مهم من متون اكتشاف الرسائل المصاحبة.
3) قلة عناية المعنيين بالمصطلحات بمكانة هذه المصطلحات الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة في مؤلفاتهم الاصطلاحية.
4) قلة توظيف الناس لمفاهيم هذه المصطلحات في حياتهم اليومية بسبب عدم تسليط المعنيين الضوء عليها بشكل كاف.
5) التنبه على أن المصطلحات الموظفة في العلوم المختلفة وظفت بطريقة الرسالة المصاحبة.
6) كانت الرسائل المصاحبة التي أسسها النبي(ص) من الدرجة الثالثة(الإخبارية التي لا يمكن الوصول إليها بالإدراك ولا بالتأمل) أي أن الرسالة المصاحبة المؤسسة في الأحاديث النبوية الشريفة إلهية المصدر.
7) لقد فعل النبي(ص) ذلك لغرض تثبيت المفاهيم الشرعية الحقّة لمصطلحات متعددة متداولة اجتماعيا بشكل مختلف، بطريقة إخبارية تعليمية.
8) كان النبي(ص) يأتي بالمصطلحات المؤسسة ذات الدلالات الشرعية الخاصة، وهو عارف بالدلالات الاجتماعية المتداولة العامة لها.
9) كان النبي(ص) يمتلك سلطة لغوية إلى جانب سلطته الدينية.
10) استعمل النبي(ص) – مفيدا من تلك السلطة اللغوية– وسائل(الاتساع في بنية اللغة العربية).
11) يمكن للرسالة المصاحبة أن تأتي باللفظة نفسها أو بالتركيب نفسه، ولكن بدلالة أخرى مختلفة كثيرا عن الدلالات المتداولة، وليس الأمر منحصرا– كما بدا لنا في بحوثنا السابقة– بأنها تأتي بلفظة أو بتركيب وبدلالة غير ما يقال ويفهم من ظاهر القول.
12) تأسيس الرسالة المصاحبة وسيلة تعليمية مهمة في لفت انتباه الإنسان عقلا وقلبا.
13) هناك صلة وثيقة بين اللغة والمجتمع في موضوع تأسيس الرسالة المصاحبة.
14) إن الصيغ التي وظفها النبي(ص) في أحاديثه النبوية الشريفة لتأسيس المصطلحات ذات الرسائل المصاحبة، كثيرة، منها:

أولا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بالإخبار الابتدائي: وهو أن يخبر النبي(ص) بالمصطلح المؤسس لرسالة مصاحبة، وبالمفهوم المصرح بتلك الرسالة ابتداء من غير سؤال، وينقسم على قسمين:

1/ الإخبار الابتدائي المتقدم: وهو أن يذكر ذلك المصطلح، ثم يذكر مفهومه، وهو على نوعين:

أ/ الإخبار الابتدائي المتقدم المفرد.
ب/ الإخبار الابتدائي المتقدم المتعدد.
2/ الإخبار الابتدائي المتأخر.
ثانيا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بالإجابة: وينقسم على قسمين:
1: الإجابة عن سؤال حقيقي: وهو على نوعين:
أ: الإجابة عن سؤال حقيقي من بشر: وهو على ضربين:
الضرب الأول: تقدم المصطلح وتأخر المفهوم.
الضرب الثاني: تأخر المصطلح وتقدم المفهوم.
ب: الإجابة عن سؤال حقيقي من ملك.
2: الإجابة لدفع التوهم المصوغ بطريقة بلاغية: وهو على نوعين:
أ: الإجابة لدفع التوهم المصوغ بطريقة الاستفهام المضمر.
ب: الإجابة لدفع التوهم المصوغ بطريقة الاستفهام الصريح.
ثالثا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بنفي المفهوم المتداول: وهو على قسمين:
1// نفي المفهوم المتداول ثم الجواب: وهو على نوعين:
أ// نفي المفهوم المتداول ثم الجواب عنه بـــ(إنما).
ب// نفي المفهوم المتداول ثم الجواب عنه بـــ(ولكنّ).
2// نفي المفهوم المتداول ثم سماع السؤال ثم الجواب.
رابعا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بإثارة سؤال عن مصطلح والجواب عليه: وهو على قسمين:
1_ إثارة سؤال عن مصطلح والجواب عليه مباشرة.
2_ إثارة سؤال عن مصطلح والجواب برد المفهوم المتداول: وهو على نوعين:
أ_ إثارة السؤال عن مصطلح وسماع الإجابة، ثم تقديم المفهوم الجديد.
ب_ إثارة السؤال عن مصطلح وسماع الإجابة ورفضها ثم تقديم المفهوم الجديد.
خامسا_ تأسيس الرسالة المصاحبة بذكر المصطلح وسماع السؤال عنه، ثم الإجابة.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

9- المصادر والمراجع

1- الرسالة المصاحبة في المحاججة النقدية بين حسان والنابغة– في ضوء النظرية التداولية (بحـــث)، أ. د. قيس حمزة الخفاجي وأ. م. د. كاظم جاسم العزاوي، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، كليـــة التربية للبنات، جامعة الكوفة، عدد خاص ببحوث المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، مج1،2017م.
2- الرسالة المصاحبة بعدا تداوليا جديدا– حديث(خاصف النعل) برواية الخدري أنموذجا(بحث)، أ. د. قـــيس حمزة الخفاجي وأ. م. د. كاظم جاسم العزاوي، مجلة العميد، س7، مج7، ع26، 2018م.
3- تداولية الرسالة المصاحبة في آية القلبين(بحث مخطوط مشترك به في المؤتمر العلمي الـــسابع عـــشر، الكلية الإسلامية الجامعة في النجف الأشرف)، أ. د. قيس حمزة الخفـــاجي وأ. م. د. كـــاظم جاســـم العزاوي، 2017م.

4- معجم التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني(ت 816 ه)، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د. ط، تاريخ وصول الباحث الى المصدر سنة 2019.
5- معجم لغة الفقهاء: عربي- إنكليزي- إفرنسي، وضعه: د. محمد رواس قلعه جي، ضبطه لغويا ووضع مصطلحاته الإنكليزية: د. حامد صادق قنيبي، وضع مصطلحاته الفرنسية: قطب مصطفى سانو، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
6- ترجمة المصطلحات الإسلامية- مشاكل وحلول(بحث في شبكة المعلومات)، د. حسن بن سعيد غزالة.
7- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1988م.
8- التعريفات الفقهية- معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين من علماء الدين، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
9- التعريفات النبوية في أحاديث الكتب الستة- جمع ودراسة(رسالة ماجستير)، فاطمة حلمي عبدالله التلباني، كلية أصول الدين/ الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م.
10-صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(ت 256 ه)، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2004م.
11-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني(ت 275 ه)، ضبط وترقيم وتخريج وتنسيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط1، 2005م.
12-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت 279 ه)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 2008م.
13-صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي(ت 676 ه)، خرّج أحاديثه: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003م.
14-تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي، دراسة وتحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1999م.
15-سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني(ت 273ه)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 2008م.
16-معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة، د. ط، 1999م.
17-لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د. ط، تاريخ وصول الباحث الى المصدر سنة 2019.
18-عمدة القاري – شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني(ت 855ه)، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
19-الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي(ت1094 ه)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م.
20-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت 770 ه)، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، در المعارف، القاهرة، ط2، 1977م.
21-فيض القدير- شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1972م.

22-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عـــدنان داوودي، دار القلـــم، دمـــشق، ط4، 2009م.
23-معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت 395 ه)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1979م.